مدن العراق القديمة

Les vieilles Cités del'Irâq.

فنسان م . ماريني ـ تابع ـ

واسس « نبوبلصر » الكلداني مملكة بابل الحديثة سنة ٦٢٥ ق. م . وبلغت ذروة عظمتها حين اتفق الماذيون والكلدانيون وهجموا على نينوى فسقطت سنة (٦٠٦ ق . م) وكلد نبوكدراصر الثاني حفيد نبوبلصر يعيد بابل كلها . ولكن من الاسف على طموح هذا الملك ومدينته : لان خلفاءه سلكوا في طرق أخر ، حتى اكل الترف والسيئات قلب المملكة التي اقامها نبوكدراصر بنشاط مدهش ، اذ كان في منهاج هذا الملك الاستعمار الخارجي وتجديد مدينته واعادة هيكل الآلهة على طول القطر وعرضه . وكان نبوكدراصر الثاني الملك الذي غزا اورشليم وسبى الاسرائيليين فاعتقلهم (٥٨٦ ق.م) .

وامتاز عصر نبونيد ، ذلك العصر الذي غلب فيه حب الدنيا ـ ونبونيد آخر ملوك مملكة بابل الحديثة ـ بمزايا ظاهرة ، مع ان هذا الملك لم يكن محراباً ولا سياسياً ، بل كان رجلا كثير الولوع بالآثار القديمة . فضلا عن انه كان مؤرخاً وعالماً اديباً . وكان يدون تواريخه حين اخذت قوة الفرس بالنهوض ، بدلا من ان يعيرها التفاته ، وقد انتفع الباحث عن آثار اشورية في هذا اليوم كل الانتفاع بتلك التواريخ . ويذكر نبونيد مفتخراً كيفية عثوره على الاسطوانات الاساسية لنرأم سن ملك اكد تحت زوايا هيكل « إي بير » الذي اقامه هذا الملك (نرأم سن) في « سفر » قبل ذلك الزمن بنيف والفي سنة (راجع ما يخص « سفره » واكد « وكان ابنه باشصر لاهياً بالاكل والشرب غير مكترث لليد الكاتبة فوق الجدار حين كان ابوه يدون الاخبار .

وبقيت بابل بعد احتلال الفرس موئلا كبيراً للتجارة كما كانت مركزاً للعلم فتألقت بغناها في عهد حكم الفرس العادل حتى سنة ٣٣١ ق.م ، فظهر الاسكندر من الغرب واخضع دارا ملك الفرس في محاربة اربل . فضعفت شوكة بابل بعد

وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق. م . واضمحلت كل الاضمحلال بالنظر الى ما كانت عليه . وبالتالي لما بنى سلوقس قصبة جديدة له على ضفة دجلة حلت تلك المدينة اي سلوقية محل بابل (راجع ما يخص سلوقية) .

برسبا (برس نمرود)

على مسافة نصف ساعة من الحلة بالسيارة

كان يعرف تل برس نمرود ، استناداً الى الحديث المأثور ، ببرج بابل وذلك منذ زيارة الحاخام الجوابة بنيامين التطيلي سنة ١١٧٣ م . وهذا التل مكلل بكتلة بناء ضخمة . ويسرد العرب هنالك روايات ظريفة منقولة عن اسلافهم تتعلق بنمرود وابراهيم ، كما انها تدل على ان البرق الذي سل الرب سيفه به في غضبه حوّل البناء المتخذ من الآجر زجاجاً . ولكن لا يشك ابداً في ان برج بابل الحقيقي هو الزقورة المسماة « انتمن انكي » — « دار حجر اساس السماء والارض » التابعة لهيكل مردوك العظيم في بابل (راجع ما يختص ببابل) . على ان مرور الزمان وسارق الآجر لم يبقيا في برج بابل من الادلة إلا شيئاً قليلا وعليه يتيسر ادراك سمو بنيامين المذكور حين قصد تلك الاصقاع .

ويرى حوالي اساس الزقورة المتخربة في برس نمرود انقاض هيكل « نبو » اله العلوم والآداب ، وكانت تنقل صورته باحتفال جليل في كل رأس سنة ليؤدي فرضه الى أبيه القهار الاله مردوك في هيكله « إي سجلا » في بابل . وكان المضيف يشايع ضيفه مسافة من الطريق في العودة كما هي العادة عند العرب في هذا اليوم .

وقد قام « جول اوبر » وغيره من الاثريين بالحفر في برس نمرود في اوقات شتى . ولكن حفرياتهم لم تتصل بعضها ببعض . مع ان « رولنصن » لما نقب هنالك عثر على اسطوانات متخذة من الصلصال المشوي في اساس الزقورة . ودل الرقيم المسماري في تلك الاسطوانات على انها تعود الى عهد نبوكدر اصر الثاني ويتضح منها ايضاً ان ذلك الملك الهمام تمكن من ان يبدي كل ما في سعيه العجيب فانه أعاد هياكل الآلهة . كما يتجلى من النوافذ المربعة المعرضة لمرور الهواء في البناء الضخم في زقورات كيش (تل الاحيمر) وعقرقوف . ولا ريب في ان البرج

احرق برمته وكانت الحرارة شديدة جداً بحيث ان الآجر لم يشو فحسب بل صار زجاجاً . وكان للزقورة منظر عجيب جداً حين التهابها في ذلك السهل الواسع (راجع ايضاً مايخص كيش وعقرقوف) .

والاماكن الاخر التي تزار وانت تذهب من الحلة هي : النجف وكربلاء وسدة الهندية .

من الديوانية :

نفر

يقدمها الجوابة راكباً السيارة من الديوانية الى « عفك » (عفج) والمسافة ٢٣ ميلا ، ثم يقطع الاربعة الاميال الباقية بالقارب وعلى ظهر الحصان .

تقع اخربة « نفر » الهائلة على الضفة اليمنى من عقيق الفرات الاقدم ، وعلى الضفة الشرقية من شط النيل القديم . ويتضح ان المدينة كانت سيدة سهل شنعار باسره من جهة الدين ، وذلك منذ الايام الاولى حتى احتلال الفرس . مع انها لم تتخذ داراً لملوك السلالات المتسيطرة ، ويظهر انها لم تزاحم مجاوراتها العديدات من المدن والممالك في السياسة او لعلها شاركتهن في السياسة بعض المشاركة . وكان القوم الشمري والقوم البابلي كلاهما يقدم الى هيكل تلك المدينة الهدايا ، وكان هذا الهيكل مرصداً « لانلل » اله الارض ولزوجته « نن » . وكل ملك عندما حاز إمرة الديار في حينه ، بغض النظر عن دولته ، كان يرمم هذا الهيكل القديم وزقورته « إي كور » : ونعلم ان « اور ننه » ملك لجش ، اعاد هذين البناءين منذ اول فجر سنة ٢٩٠٠ ق.م ، كما ان « نرأم سن » و « اور نمو » و « اشور بنيبل » جددوها في اوقات بعد ذلك التاريخ . وعليه اضحت قيود الهيكل والنذور التي قدمت الى الاله والتي حفرت في « نفر » ادلة نفيسة تفصح عن تاريخ سهل بابل . وقد عثرت بعثة جامعة « بنسلفانية » « لنفر » على ما يقارب الثلاثة والعشرين الف صفيحة من سنة ٢٧٠٠ الى ٢١٠٠ ق . م وكانت تلك الصفائح محفوظة في خزانة الهيكل .

حفر « و . ك . لفتس » في « نفر » مدة وجيزة سنة ١٨٥٢ . ولكننا حصلنا على نحو جميع انبائنا الخاصة بهذه المدينة مما كشفته البعثة الاميركية التي

حفرت هنالك حفراً فسيحاً في مدات مختلفة من سنة ١٨٨٧ وما بعدها .

اسن (اشان بحريات)

لم يكشف موقع هذه البلدة إلّا منذ الحرب العظمى ،وهي واقعة في تل على مسافة ثمانية عشر ميلا جنوبي« نفر » . ولا يعرف شيء من تاريخها قبل سلالة اور الثالثة ، وكان من حظها ان حلت محل اور حينما فتحها العيلميون (سنة ٢٣٠١ ق . م) . وحييت سلالة ملوك إسن حياة كلها وقائع مختلفة حتى ابادها الفاتحون العيلميون ، وهم من سلالة مدينة « لارسا » التي كانت تنافس « إسن » ومن ثم اصبحت المدينتان من البلدان التي اذعنت لمملكة بابل الاولى . وتاريخ هذه المدينة بعد ذلك الحين غامض لم يكشف بعد ، إلّا ان الاستاذ « لنغدن » في زيارة لها قريبة العهد عثر على ما يدل على ان نبوكدنصر اصر (بختنصر) الثاني اعاد بعض الابنية في إسن في عصر بابل الحديث .

مردة (ورقة وسدوم)

يمر خط القطار القائم من بغداد الى البصرة بهذا الموقع على ثلاثة عشر ميلا شمالي الديوانية وميلين من محطة خان جدول .

تمتد الروابي الى نحو ميلين من الشرق الى الغرب والى نصف ميل من الشمال الى الجنوب . ويظهر ان نبوكدنصر اصر اعاد الهيكل والزقورة ؛ ولا يعرف من تاريخ هذه المدينة إلّا شيء قليل فضلا عن انها مذكورة في مسلة « منشتوسو » التي وقع عليها « دي مرغان » في « السوس » . ولا يمكن معرفة ما تحت الكتل العظيمة الواقعة فوق الروابي والمتركبة من انقاض عصر بابل الحديث وزمن الفرس إلّا بتنقيب دقيق منظم .

أدب (بسمايا اي بسمى)

تقع أخربة هذه المدينة في فلاة على خمسة وعشرين ميلا من جنوب غربي « نفر » وعلى مثل هذه المسافة في غربي شط الحي .ونقب « إي .ج. بنكس » في ذلك الموطن تنقيباً عظيماً سنة ١٩٠٣ الى ١٩٠٤ بالرغم من الصعوبات التي تلقاها هنالك . وكان « بنكس » المذكور قنصلا اميركياً في بغداد في السابق .

ونالت حيناً تلك المدينة المملكة (اي في سنة ٣٠٠٠ ق . م .) مجداً لم

يدم طويلا . وذلك حين حازت سلالة من ثلاثة ملوك من أدب إمر تسهل شنعار . واعاد ملوك أكدهيكل هذا البلد المسمى « إي مهك » المرصد لعبادة « أرورو » (تتال تنخر سج) وقد جدده بعدهم الملك « اور نمو » ومن تبعه من سلالة اور الثالثة . وزقورة ذلك المعبد ذات الاربع الطبقات من اقدم زقورات شمر .

من السماوة :

أرك (الوركاء) ـ (ارك المذكورة في التوراة : سفر الخلق ١٠ : ١٠)

ترى اخربة هذه المدينة ، وهي من مدن نمرود ، على الضفة الغربية من عقيق الفرات القديم ، وتشتمل على ثلاثة أتل كبيرة ، وروابٍ أخر اصغر حجماً . كما ترى اسوار الملك « اور نمو » الهائلة ، مؤسس سلالة اور الثالثة . تلك الاسوار التي يبلغ محيطها ستة اميال ، وهي على شكل دائرة ، وتكاد ترى على حالها الاصلي ، ويتخلل آجرها الحصر من حين الى آخر . وتقع بقايا الهيكل وزقورته في شرقي المدينة . ويعتبر تل « وسوس » المرتفع القائم على يسار المعبد . موضع قصر الملوك ، وهم سابقون للملوك السرجونيين في هذه المدينة المملكة ، وكانوا ايضاً كهنتها وقضاتها المعروفين « بالفاتشيين » .

وقيل ان ارك سيطرت ، خمس مرات ، في ازمنة مختلفة على جاراتها ، في سهل شنعار . بيد ان سلالة ارك الاولى التي ترد في التواريخ القديمة تحتوي على اسم « جلجمش » البطل الشمري ، و « تموز » ابن « إينني » (اشتر) الذي ولد ولادة سرية ، ولكن تلك الرواية لا تصدق إلّا بمنزلة رواية خرافية . وكانت هذه المدينة تحترم احتراماً تاماً في كل زمن ، لانها مقر عبادة الاله السماء « انو » والالهة « إينني » ولتلك الالهة علاقة ايضاً بالهيكل « إي هر سجكلما » في كيش (راجع ما يخص كيش) . ولا ريب في انه او ينقب في « إي انا » ـ « دار السماء » ـ هيكل « انو » في ارك ليعثر فيه على نتائج مفيدة . ولم يفحص هذا الموقع فحصاً منظماً وان « لفتس » حفر فيه مدة قصيرة سنة ١٨٥٤ .

لرسا (سنكرة)

لم ترو انباء كثيرة عن تاريخ لرسا القديم ، التي تقع آخربتها على الضفة الغربية من عقيق الفرات الاول ، وهي على خمسة عشر ميلا من جنوب شرقي

أرك . ولم يحفر هنالك حفر مرتب على ان « لايرد » و « لفتس » زاراها في نصف القرن المنصرم . ومن سوء الحظ ان هذه المدينة ، وارك ، ولجش ، وكثيراً من امثالها من المدن الشمرية يقصدها دائماً اعراب ناهبون يبحثون عن « العنتيكات » اي العاديات ، وهذا لا شك فيه .

ونشأت المدينة حوالي « إي بير » هيكل اله الشمس « بير » رب العدل والعرافة ، وهو ابن اله القمر في اور . (راجع ايضاً مايختص بسفر) . وقد عثر « لايرد » في اخربة الهيكل على آجر فيه اسم « اور نمو » مؤسس سلالة اور الثالثة . فيظهر انه اعاد ذلك المعبد . ومن غريب الاتفاق اننا لانعلم شيئاً عن مصير هذه البلدة في المدة التي كانت اور تتألق بعظمتها ، غير ما سبق ذكره تلك البلدة التي حلت محل اور بعد آن قصير . ولما سقطت اور سنة ٢٣٠١ ق.م انت « لرسا » على عصر عز ومجد ، اذ اصبحت مقر سلالة ملوك حكموا هنالك باتم الاتفاق مع سلالة اخرى في إسن نحو قرن كامل . وبعد زمن من حروب قامت بين المدن بعضها لبعض ، تلك الحروب التي نشأت منها سلالة بابل الاولى احتل الفاتحون العيلميون مدينة لرسا . وجعلوها مقراً يهجمون منه على « إسن » وبالتالي ، انت المدينتان لمملكة بابل الاولى (راجع مايخص إسن) .

شوروبك (فارة)

ورد عنها في نص بابلي ، انها نشأت قبل الطوفان ، و لـ « شوروبك » اصل عريق جداً . وفي الحقيقة كانت هذه المدينة الموطن المأثور عنه البطل الوارد اسمه في رواية الطوفان للشمريين ، كما انها الموضع الذي بنيت فيه سفينة نوح . وتقع « شوروبك » الآن في فلاة على ثلاثين ميلا من شمال شرقي ارك . وكانت المدينة قائمة على ضفة الفرات قبل ان يغير مجراه .

وحفر « كلدواي » و « اندرى » و « نلدكى » في هذه المدينة بعض الحفر سنة ١٩٠٢ الى ١٩٠٣ ، فحصلوا على نتائج هامة .

أما (جوخا)

يظن ان تاريخ هذه البلدة كان ذا حوادث خطرة ، مع انها مدينة صغيرة لايتجاوز طول اخربتها الممتدة شرقاً الى غرب ثلاثة ارباع الميل . فيظهر ان

« أما » قاومت دائماً ري « لجش » المدينة الكبرى ، التي كان يجري الماء اليها في القناة الناشئة من الفرات القديم ، الذي سمي بعد ذلك « شط الكار » . وعليه نشبت الحروب بين المدينتين ، وعقبت الغزوات الواحدة بعد الاخرى ، حتى انه في القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد اصبحت الحالة في غاية الخطورة ؛ فعاقب « ايناتم » هذه البليدة المتمردة عقاباً شديداً ، واقام حجراً فاصلا بين تخوم المدينتين وقد اشتهر ذلك الحجر اليوم وعرف « بنصب النسور » . وفضلا عن ذلك حفر « ايناتم » قناة اخرى ، ولكن نعلم ان ابن اخيه « انتمنا » لما رأى ما يتكبده من جارة المضجر ، عزم على جلب الماء من دجلة ، بدلا من ان يجلبه من الفرات ، لكي لا تعتريه مشقات جمة . ولعل اهذا الملك المفكر على العراق فضل وجود «شط الحي» فيه اليوم.

ولكن روح «أما» لم تخمد ، فحشدت كل ما لديها من الجند وهجمت على لجش بقيادة الفاتشي (الكاهن القاضي) هجمة فجائية وسلبتها . وملك لجش حين ذاك « اور كاجنة » فيظهر انه لم يكن محارباً مقداماً مع انه بناء كبير ومهذب في الاجتماعيات . وفي مدة سنة اضحى « لجل زجسي » ملكا في ديار شمر الجنوبية واتخذ « ارك » مقراً له ، وحكم فيها خمسة وعشرين عاماً ، وضايق في خلالها مدينة كيش ، حتى قهره سرجون ملك اكد (سنة ٢٧٥٢ ق . م) .

ومن المفيد ان يعرف ان اشتياق « أما » لاكثر مما تستحقه من الماء هنالك اثر في انتخابها الهاً لها . اذ ان هيكل البلدة أرصد له « شارة » اله النبات ولزوجته « نيدبة » (نينورتا) الهة الحبوب ، واعاد هذا الهيكل « اورنمو » من سلالة اور الثالثة في زمن تال .

وزار « لفتس » هذا الموطن سنة ١٨٥٤ ، كما ان « بترس » و « ورد » من بعثة متحفة « بنسلفانية » زاراه في العام عينه . وقصده ايضاً الاثري الالماني « اندرى » في موسم سنة ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ . بيد انه لم يحفر في ذلك المحل حفر متتابع الى هذا الحين .

من محطة اور :

اور (المقير) ـ (اور الكلدانيين المذكورة في التوراة ؛ سفر الخلق ١١ : ٢٨)
هي على مسير نحو عشرين دقيقة من محطة اور

كانت زقورة اور الحمراء الكبيرة ، تجلب انظار محبي البحث منذ غابر الايام ، وهذه الزقورة من احسن زقورات سهل شنعار حفظاً ، تلك الزقورات المنتشرة في سائر انحاء هذا السهل. وقد حفر « لفتس » مدة في اور سنة ١٨٥٢. وفي السنة التالية ، وقع « ج . اي . تيلر » نائب القنصل البريطاني في البصرة على اسطوانات فيها من الرقيم المسماري من عهد نبونيد آخر ملوك بابل ، وذلك في الزوايا الاربع من طبقة البرج الثانية . فواصل الحفر . وزار اور اعضاء بعثة جامعة « بنسلفانية » في اوقات بعد ذلك الحين ، ثم ارسلت المتحفة البريطانية الى تلك البلدة المستر « ر . كمبل تومسن » سنة ١٩١٨ والدكتور « هل » سنة ١٩١٩ .

وفي سنة ١٩٢٢ باشرت العمل البعثة التي اشتركت فيها المتحفة البريطانية ومتحفة جامعة « بنسلفانية » . وكان العمل على قياس كبير ، ورئيس البعثة المستر « س . ل . « وولي » . واقتفى سريعاً اثر الجدار المقدس العظيم ، وهو الجدار الذي اقامه نبو كدنر اصر ليحيط به منطقة الهيكل المسمى « اي جش شرجل » اي دار النور . كما ان المنقبين وقعوا هنالك على هيكل الاله القمر « نن » .

ومن يزر اور ، ويصعد الى الزقورة التي لاتزال طبقتان من طبقاتها الاربع قائمتين ، يتيسر له الاطلاع على الابنية الداخلة بعضها ببعض ، والتي حفرت في خلال الاربعة المواسم الماضية . وبنيت هذه الزقورة وزواياها الاربع متجهة نحو الجهات الرئيسة . كما كانت العادة زمنئذ ؛ وترى الى هذا الحين بقايا الدرج في وجه الزقورة الشمالي الغربي . ويظهر ان برج الهيكل احرق برمته ، على ما اتضح من الابنية الاخر (راجع مايختص بكيش وعقرقوف) ويظن ان الفاتحين العيلميين احرقوها قبل زمن « اور نمو » مؤسس سلالة اور الثالثة الذي اعاد بناء تلك الزقورة . ولما جددها نبونيد يظهر انه زخرفها بالزليج اي (الآجر المدهون بالطلاء ذو الالوان المتألقة) . ويقتضي ان منظرها في ذلك السهل الفسيح المنبسط كان على جانب عظيم من البهاء .